

عنوان الورقة :

آلية استقطاب المتطوعين من شرائح المجتمع المختلفة

مقدمها :

الدكتور/ توفيق بن أحمد القصير

تعتبر الأعمال الخيرية بأنواعها معلما من معالم التحضر والنمو في الأمم، وبذا فقد تنامت مراكز ومؤسسات العمل الخيري التطوعي في الدول المتقدمة بصورة ملفتة، حتى أصبحت مؤسسات العمل الخيري -كَمَا ونوعا- مؤشرا من مؤشرات التطور، وأصبح النمو الطردي الأفقي والعمودي لهذه المؤسسات في مجتمع من المجتمعات مؤشرا يقاس به وعيها وتقدمها. فإذا علمنا أن عدد المتطوعين في مؤسسات العمل الخيري في العالم الآن يربو على المائة مليون شخص، يجمعون أكثر من ٨٠٠ مليار دولار في السنة، وينفقون في هذا العمل أكثر من ٤٠ بليون ساعة، بمعدل ٤ ساعات أسبوعيا للفرد الواحد، ندرك يقينا أهمية الآليات المستعملة في جمع هذه التبرعات، وكذلك الأهمية القصوى لآليات استقطاب أولئك المتطوعين من شرائح المجتمع المختلفة.

البيان	١٩٠٠	١٩٧٠	٢٠٠٠	٢٠٠٣	٢٠٢٥
عدد المسيحيين (مليون)	٥٥٨	١،٢٣٥	١،٩٩٩	٢،٠٧٥	٦١٦،٢
عدد المسلمين (مليون)	٢٠٠	٥٥٤٤	١،١٨٨	١،٢٦٥	١،٧٨٥
نسبة عدد المسلمين للمسيحيين	%٣٦	%٤٦	%٥٩	%٦١	%٦٨
عدد اليهود (مليون)	١٢،٣	١٤،٧	١٤،٤	١٤،٨	١٦
عدد اللادينيين (مليون)	٣	٥٣٢	٧٦٨	٧٨٦	٨٧٥
عدد العاملين لنشر المسيحية (مليون)	١،٠٥	٢،٣٥	٥،١١	٢،٢٥	٦،٥٠
دخل الكنائس السنوي (بليون دولار)	٧	٥٠	١٠٨	١٢٥	٣٠٠
عدد الكمبيوترات لاستعمال الكنائس (مليون)	٠	١	٣٣٢	٤٠٠	١،٥٠٠
كتب عن المسيحية (مليون)	٣٠،٠	١،٨	٤،٨	٥،٣	١١،٨
توزيع الإنجيل (مليون)	٥	٢٥	٥٤	٦٢	١٨٠

جدول ١ - إحصائيات عن تنامي الإنفاق والنشاطات الدينية في العالم (١)

والجدول المرفق (جدول - ١) يبين بعض الإحصائيات لاتباع الديانات الثلاث، المسيحية والإسلام واليهودية، وأعداد اللادينيين في سنوات مختلفة في هذا القرن والقرن السابق، وكذلك

مقارنة بسيطة لتطور العمل الكنسي على مستوى العالم من حيث عدد العاملين، أو استخدام الحاسبات الآلية، أو عدد الكتب المطبوعة، أو المبالغ التي تدخل على الكنائس لدعم أعمالها في داخل العالم النصراني وخارجه.

ومن هذا الجدول يتبين تنامي أعداد المسلمين مقارنة بأعداد أتباع كل من الديانة المسيحية واليهودية واللادينيين في العالم. وهذا الجدول ورغم أنه يشر بزيادة نسبة أعداد المسلمين إلا أنه في نفس الوقت يشير إلى حجم التحدي المتنامي الذي يواجه المسلمين خصوصاً وأن غالبيتهم العظمى هم من سكان دول العالم الثالث، وأن أكثر من ٧٠٪ منهم يعيشون دون خط الفقر (٢)، وأن نسبة الأمية فيهم تزيد على ٦٠٪ (٣)، وأن عدد المسلمين من مجموع اللاجئين في العالم يشكل أكثر من ٧٥٪ (٤).

وبالمقارنة، فإن عدد العاملين على نشر الديانة المسيحية في العالم، والدخل السنوي للكنائس، وأعداد نشر الكتب، وتوزيع الإنجيل، فهو في ازدياد مستمر. ويشكل عاملاً من عوامل الصراع والتحدي القائم والمنتظر للمسلمين المعنيين بنشر دينهم، والمحافظة على إيمان وبقاء المسلمين بالولادة والمسلمين الداخلين في الإسلام حديثاً.

وبناء على ما تقدم، فإن العمل الخيري عموماً، والمنطلق من هذه البلاد خصوصاً، يشكل عاملاً أساسياً في حفاظ المسلمين على إيمانهم وبقائهم في مناطق عديدة من العالم. ولذا فإن الميزانيات المخصصة لجمعيات العمل الخيري وأعداد العاملين في هذه الجمعيات وخصوصاً المتطوعين منهم، يعتبر عنصراً أساسياً في تمكين هذه الجمعيات من أداء دورها الإنساني الخيري والدعوي للمحتاجين عموماً، والمسلمين منهم على وجه الخصوص.

وفي الوقت الذي يتفوق فيه الغرب علينا في أساليبه العلمية والقانونية والمالية، مما يتيح لجمعياته العمل في أجواء مفتوحة يتوفر له فيها المتطوعون المدربون، والميزانيات اللازمة، والحماية القانونية، والاستقلال في العمل، كجزء من أنظمة الغرب الحرة التي تساعد على تنامي تنظيمات العمل الأهلي المدني كماً ونوعاً، وتهيئة كافة الأسباب اللازمة لنجاحها وتمكينها من تحقيق أهدافها.

وتركز هذه الورقة بصورة خاصة على آلية استقطاب المتطوعين من الفئات الآتية:

١- استقطاب الأطفال:

ويمتاز الأطفال عموماً بالإحساس المرهف والعاطفة الجياشة، والرغبة في مساعدة الغير، والتأثر البالغ بآثار الحروب من دمار وتشرد وقتلى، وآثار الكوارث الطبيعية من فيضانات وعواصف وهزّات أرضية وبراكين، وآثار الكوارث الصناعية من حرائق وتلوث وغيرها. وبذا فإن الأطفال خامات مناسبة لاستقطاب المتطوعين من خلال المدرسة والبيت والمسجد إذا ما تم مخاطبتهم بطريقة تثير عواطف الطفولة والإنسانية البريئة في أعماقهم، وتستنهض فيهم مشاعر الخير الكامنة.

ولعل إصدار وتوزيع مجلات خاصة بالأطفال شهرية وأسبوعية، تحث الأطفال على الشعور بحاجة الآخرين من البشر، ممن حرموا من التعليم ومراكز العناية الصحية والمياه الصالحة للشرب وتعرضوا للمجاعات والكوارث، ودور الجمعيات الخيرية في خدمة هؤلاء وتحسين ظروفهم، هي من وسائل جذب وتشجيع هؤلاء الأطفال على الانخراط في هذه الأعمال. كما أن تقديم البرامج الإذاعية ومن خلال التلفاز ووسائل الإعلام الأخرى ونشر المقالات والمقابلات مع أطفال عاشوا تجربة العمل التطوعي في الجمعيات الخيرية، له كبير الأثر على جعل الأطفال يفكرون بأن يكونوا من هؤلاء المتميزين الذين قاموا بمثل هذه الأعمال ونالوا مثل هذا التكريم.

والتشجيع على العمل التطوعي من خلال منابر المساجد والدروس الدينية يؤسس لهذا العمل دينياً في نفوس الأطفال، ويجيبه لهم، ويفرس في نفوسهم التفكير الإيجابي الجدي في هذا العمل. والعمل الخيري عندما ينفذ من خلال برامج علمية وثقافية مدروسة ودورات تدريبية متقدمة، فإنه يتيح للأطفال فرصة صقل المواهب، ومخالطة الكبار، والإحساس بالمسؤولية، وبناء الثقة بالنفس، وتطوير القدرة الأدبية على التحدث والخطابة، وقوة المنطق واستخدام الوسائل العلمية المتطورة في إقناع الآخرين للتبرع والبذل للعمل الخيري، والإحساس بمعاناة إخوانهم وأخواتهم في الإنسانية في الداخل والخارج، مهما كانت جنسياتهم أو ألوانهم. إن العمل التطوعي إذا فرصة لصقل وتطوير مهارات الأطفال.

وبذا فإن أسر الأطفال ستوافق على انخراطهم في التطوع في جمعيات الأعمال الخيرية، وستكون مقتنعة بأن هذه البرامج بالإضافة للشباب الأخرى، هي برامج مساعدة على تنمية قدرات أطفالها، وصقل مواهبهم في وقت مبكر وفي أجواء إيجابية وآمنة.

٢- استقطاب الشباب:

ويمتاز الشباب في المراحل المتوسطة من أعمارهم بالمثالية، والاستجابة لنداء الواجب والنخوة، والرغبة في التميز والإنجاز، والعمل المتقاني فيما يؤمنون به من قيم ومبادئ، دون ملل أو خوف أو تردد. وعند التركيز على الجوانب الخيرية التي امتاز بها ديننا الحنيف، وكيف أن خير الناس هو خيرهم لغيره من المحتاجين في الدين والإنسانية. وتعتبر الاحتفالات وإعلان قوائم المكرمين من المتطوعين ولو تكريماً رمزياً، وإبراز نماذج منهم في وسائل الإعلام المختلفة، من العوامل المؤثرة في نفوس الشباب وعقولهم.

إن إصدار مجلات ودوريات تُعنى بأمور الشباب، وتروي قصصاً من مغامراتهم وأعمالهم داخل البلاد وخارجها، معززة بالصور والتحقيقات الصحفية، ستكون محط اهتمام الشباب ومتابعتهم وتقديرهم.

ولعل مما يستهوي الشباب في هذه المرحلة العمرية هي روح المغامرة والسفر واكتشاف المجاهيل والتعرف على العادات والثقافات والبيئات المختلفة في العالم.

وعندما يعود هؤلاء الشباب فإنهم سيحكون مغامراتهم وما تعلموه خلال هذه الرحلات، وقابلوه من التجارب، وكيف تغلبوا على المصاعب التي صادفوها، وكيف تصرفوا تجاهها، وكيف حققوا أهدافهم وأوصلوا المعونات الغذائية إلى المحتاجين أو أسهموا في بناء أو تشغيل مراكز صحية أو تعليمية أو توعوية.

ومما يحقق الإقناع ويعين الشباب على اتخاذ قرار بالانخراط في الأعمال التطوعية، أن يكتشف الشباب ما يمكن أن يعود عليهم من هذا العمل، وأنه يرفعهم إلى مصاف الرجال والأبطال والمنقذين في بعض الأحيان، وكيف أن هذه الأعمال يمكن أن توجه طاقاتهم الشبابية وإبداعهم ونوازع الخير الفطرية فيهم إلى أعمال يفخرون بها، حيث يعطون من جهودهم وأوقاتهم، ويشبعون في ذواتهم روح المغامرة والاكتشاف.

وبالإضافة لذلك فإن أسر هؤلاء الشباب، ستجد أن هذه الأعمال التطوعية مصدر خير وبناء وتطوير وتوجيه لطاقت أبنائهم، في أعمال إيجابية تساعدهم على تربية هؤلاء الأبناء، وتحصينهم من الانحراف والضياع.

٢- استقطاب الفئات المحدودة:

إن هناك فئات كثيرة مهملة في المجتمع، مع تمتعها بخبرات وعلاقات في غاية الأهمية، يمكن تفعيلها واستقطابها إذا ما أدرك القائمون على العمل الخيري وسائل التأثير على هذه الفئات. وهذه الفئات بغالبيتها تبحث عن الأجر والثواب، ويمكن التأثير عليها باستخدام المنطق والإحصائيات، عن مدى الحاجة إلى أعمالها وخبراتها وجزء من أوقاتها، وعن الآثار العظيمة الناجمة عما تجمعها من مال وما تحييه من آمال وأنفس لآلاف بل ملايين المحتاجين والمعدمين، وعن أهمية دورها وخبرتها في تخفيف آثار المثلث الخطير الجاثم على غالبية سكان هذه الأرض، وهو الجهل والفقر والمرض.

ويشعر المتقاعدون والمهنيون عموماً، وفي بلاد العالم الثالث خصوصاً، بشيء من الملل وعدم الرضا عن النفس أحياناً، ذلك أنهم بالرغم من توفر الخبرات والإمكانات لديهم، إلا أنهم لا يجدون مجالات مناسبة من خلالها يحققون طموحاتهم الخيرية والإنسانية، من خلال ممارسة هذه الخبرات والاستفادة من هذه القدرات.

ولعل العمل التطوعي الخيري من أفضل الميادين التي تجد بها هذه الفئة نفسها، وتمارس قدراتها ومهاراتها المكتسبة من خلال خبراتها الطويلة، بأعمال تعتبر في بعض الأحيان على درجة كبيرة من الأهمية، لإنجاح الجهود والأعمال الخيرية وتطوير وسائلها وقدراتها.

ولجذب هذه الفئات فإن العمل يحتاج إلى برامج متطورة في الاتصال، ورغبة صادقة لدى الجمعيات الخيرية في تطوير أعمالها، وربما تغيير بعض الأساليب المألوفة، سواء في طرق جمع التبرعات أو في خطط صرف هذه التبرعات، من خلال مشاريع خيرية قد تكون تقليدية في بعض الأحيان، وقد لا تحقق العائد المناسب على هذه الميزانيات. وبذا فإن استقطاب هذه الفئات خصوصاً، يحتاج إلى برامج متطورة ورغبة صادقة لخدمة العمل الخيري التطوعي، ودعمه ببرامج

وخطط علمية متطورة، يضح فيها قدر كبير من الإبداع والتفنى في هذا العمل الحيوي، الذي يعود بالخير على الجميع في الدنيا والآخرة.

ويعد إدراك هذه الآليات في استقطاب الفئات العمرية والمهنية المختلفة، فلا بد من تدريب القائمين على استقطاب هذه الفئات على أجدى وأقصر الوسائل، بصورة علمية مبرمجة، تجعل من هذا العمل أسلوباً علمياً وعملياً ناجحاً في استقطاب هذه الكوادر وضمها لهذا العمل الخيري المبارك.

المراجع

١. International Bulletin of Missionary Research, January 2003, By: Prof. David Barrelt
٢. كتاب المعلومات، مكتب الآفاق المتحدة الاستشاري، ١٩٩٨م.
٣. المسلمون. نظرة مستقبلية، آمال وتحديات، برنامج الدين والحياة، القناة الفضائية السعودية الأولى، د. توفيق أحمد القصير، يناير ٢٠٠٣م.
٤. حوار الحضارات في العالم، القناة الفضائية السعودية الأولى، د. توفيق أحمد القصير، إبريل ٢٠٠٠